معركة رمضان

الحمد لله الذي منَّ علينا بهذه النعمة العظيمة، وسبحانه وتعالى قد فرضها وشرعها لعلمه بما ينفع هذه الأمَّة ويحمي صفوها، فكما ذكر الشيخ -جزاه الله خيرًا- الإيمان والجهاد مرتبطان دائمًا دائمًا إلى يوم القيامة، فمتى وُجِد الجهاد وُجِد الإيمان، ومتى وُجِد الإيمان وُجِد الجهاد، وفي أيِّ وقتٍ يوجد فيه الإيمان بدون الجهاد يضعف هذا الإيمان، وعلامة ضعف لهذا الإيمان، ويكون فرصة لأهل الكفر والفساد أن يعتدوا على أعراض المؤمنين وحرماتهم، وهذا الذي ترونه في هذا العالم اليوم، فأين الأندلس وأين فلسطين وأين المسجد الأقصى وأين بخارى وسمرقند؟ كلُّها ذهبت، ونحن أوتينا الجدل إلا من رحم الله، جدلٌ لا نهاية له، أمَّا العمل فكما هو مطلوبٌ منَّا من هذا الإيمان؛ ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، فإلا من رحم الله.

ومن نعمة الله علينا أن رأينا بأعيننا نصر الله سبحانه وتعالى حقًّا واضحًا في أفغانستان يتنزَّل على المجاهدين من فضل الله سبحانه وتعالى؛ حتى ترجع هذه الأمَّة إلى هذا المعين الأصيل الذي سنَّه لنا رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، فرسول الله ﷺ وهو صاحب المقام المحمود وهو الذي غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، يقول في الحديث الصحيح: "وددت أن أغزو في سبيل الله ثم أقتل" ثلاث مرات -أو كما قال عليه الصلاة والسلام- وفي الحديث الآخر أنَّه: "ما من صاحب عبادة يتمنَّى أن يرجع إلى الدنيا من عظيم أجرها إلا الشهيد، يتمنَّى أن يرجع إلى الدنيا حتى يُقتَل في سبيل الله مرة أخرى". فهذا كان فعل رسول الله ﷺ.

ونزل القرآن على رسول الله ﷺ لكي يُطبَّق، وقام رسول الله ﷺ بنشر هذا الدين والدعوة إليه بالسيف، يقول ﷺ: "بُعثت بين يدي الساعة بالسيف".

ومن أجل هذا الدين خرج رسول الله ﷺ يوم أُحدٍ يدافع عن هذا الدين بنفسه وماله، فشجَّ وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام من أجل هذا الدين وهو قدوتنا، واليوم دين الله يُمتهن ويُهان في مشارق الأرض ومغاربها ولا يتحرك له إلا من رحم الله ولا تُشجُّ وجوهنا ولا تُكسر رباعياتنا، ونحن قد أطلقنا لحانا من فضل الله واتَّبعنا كثيرًا من السنن حتى توهَّم الناس أنَّنا على الطريق المستقيم الذي لا عوج له، وركنٌ أصيل من هذا الدين -وهو الجهاد في سبيل الله- تركناه نسيًا منسيًّا إلا من رحم الله، ولشدَّة ترك هذا الجهاد وشدَّة ذنبه جمع الله سبحانه وتعالى -محدِّثًا عن المنافقين- بين ترك الجهاد وبين الكفر بالله ورسوله، يقول سبحانه: {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}، يذكر صفات الكفار والمنافقين تحذيرًا لنا حتى نجتنبها، ويقول سبحانه وتعالى في معرض الذمِّ الشديد

للمنافقين –أعوذ بالله من الشيطان الرجيم–: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ألسنا نحن تبعًا له عليه الصلاة والسلام؟ جاهد بماله ونفسه، تُوفي آباؤنا ومَنْ قبلهم ولم يجاهدوا، وذهبت فلسطين ولم يرجعها أحد، واليوم تؤخذ بلاد المسلمين أرضًا أرضًا ولا يتحرك إلا من رحمه الله، والناس في جدل وكما حصل مع المسلمين أيام التتار.

أيام التتار يقول بعض المفسرين في قول سبحانه وتعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} ترك الناس الجهاد وانشغلوا بالعلم دون العمل به، حتى كانت بغداد عاصمة الإسلام منار الدنيا كلها حتى يظنَّ أنَّه كان أكبر عدد سكان في العالم في بغداد، أكثر من اثنين مليون، في الوقت الذي كان فيه سكان بعض العواصم الغربية بعشرات الآلاف، لكن عندما تركوا الجهاد –الله سبحانه وتعالى لا يداهن أحدًا– فعندما تركوا الجهاد عذَّبهم، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: ترك الناس الجهاد وكانوا مشغولين بالعلم والتأليف والكتب وتخريج الأحاديث وكل ما فيه خير إلا أنَّهم تركوا الجهاد، يقول: فجاء التتار فما زالوا يدخلون حتى وصلوا أفغانستان فدخلوا من جهة كابل، ثم يتقدمون إلى بلاد فارس حتى وصلوا بغداد، وما خرج إليهم جيش من بغداد إلا عندما أصبحوا على مقربة منها، فخرج إليهم جيش ضعيف والناس في سكينة وفي تركٍ للجهاد فقُتِّلوا، ثم دخلوا بغداد وكانت الكارثة وكان وعد الله ووعيده للذين يتركون الجهاد، يقول: دخلوا فبقى السيف يعمل في المسلمين أربعين يومًا، يقول ابن كثير: حتى كان الناس يفرُّون ويصعدون إلى الأسطح، فيدخلون يكسرون عليهم أبوابهم وينتهكون أعراضهم ويُذبح الرجال على الأسطح فكانت ميازيب بغداد تسكب دمًا، كل هذا ممَّا؟ من ترك الجهاد.

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد؛ سلَّط الله عليهم ذلًا" ألا تصدقون حديث رسول الله ﷺ؟! "وتركوا الجهاد سلَّط الله عليهم ذلًا" انشغالكم بالأعمال الصالحة مع ترك الجهاد سيطبق الحديث، وتركوا الجهاد سلَّط الله عليكم ذلًا، ولكن من فضل الله سبحانه وتعالى أنَّه عندما رأى هذه الأمَّة ما زالت في توانٍ وتركٍ حبًّا منه سبحانه وتعالى للمؤمنين فيها أنزل نصره على عباده الذين نصروه، ونشر هذا الخبر وانتشر بفضله سبحانه وتعالى.

وسأقصُّ لكم بعض القصص التي رأيتها بنفسي في أفغانستان، وما أفغانستان بأهمَّ من فلسطين ولكنها كلها بلاد المسلمين، فحصلت حوادث أذكر بعضها من فضل الله كانت معظمها في رمضان.

في رمضان 1407 هذا الأخير، حصلت معركة عجيبة جدًّا جدًّا بين المسلمين والكفر ذكَّرتني ببدر إلا أنَّ أهل بدر لا يفضلهم أحد، كما في الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام: أنَّ جبريل سأله: "ما تعدون

أهل بدر فيكم؟" قال: "من خيارنا"، قال: "وكذلك الملائكة الذين شهدوا بدرًا". أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

يوم 26 رمضان تحرَّك الكفار باتجاه معسكر للمسلمين في منطقة تُسمَّى (بكتيا) يريدون أن يقفلوا هذه الحدود كلها ما بين باكستان وأفغانستان حتى يتسنَّى لهم بعد ذلك قهر المجاهدين في الداخل –أخزاهم الله–، بدأت المعركة يوم 26 بالضرب من الطرفين استمرَّت إلى يوم 28، كان يومًا شديدًا على الكفار بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم يوم 29 شفى الله صدور المؤمنين كما يقول الله سبحانه وتعالى، فكنت أرى بنفسي راجمات صواريخ المجاهدين تنزل على دبابات العدو وعلى ناقلاتهم وذخائرهم فتشتعل من فضل الله، وكنت أرى الجنود يفرُّون يمنةً ويسرةً، وأمَّا الذين يسقطون قتلى –أخزاهم الله– تأتي سيارات الإسعاف الكبيرة —الشاحنة– يضعونهم فيها كأنَّما يضعون حطب من كثرتهم –أخزاهم الله–، ويولون الدبر، بل إنَّ بعضهم كان قبل أن يحمل يرى القصف ينقلب على عقبيه ويرجع، وماذا قوة المجاهدين من قوة الأعداء؟ لا تُذكر، إلا أنَّ الله معهم سبحانه وتعالى، وقر في قلوبهم أنَّ الله أكبر، عندما يقولون الله أكبر في الصلاة يعلمون أنَّ الله سبحانه وتعالى أكبر من الروس ومن قواتهم.

كانت الطائرات تقصف بشدَّة المنطقة تمهيدًا لتقدُّم الدبابات، المجاهدون في المنطقة قرابة 1500 الذين تقدَّموا أكثر من 8000 جندي –أخزاهم الله–، وكان معهم خمس كتائب روسية غير الأفغان الشيوعيين، فتقدَّموا.. من شدَّة ما أصابهم يوم 29 من ضرب المجاهدين حتى أنَّ كبير الروس في المنطقة أصبح يجمع الضباط الأفغان والروس ويسأل الأفغان: لماذا قذائف المجاهدين تصيب مواقعنا بدقَّة وأماكنهم لم تُصَب والدليل كثرة ضربهم علينا؟ فكان جواب الأفغان الشيوعيين: إنَّ المجاهدين معهم خبراء أمريكان وروس ومعهم خبراء جيش عربي، لأنَّه كان على الجهاز الإخوة يتحدَّثون باللغة العربية، قالوا معهم جيش عربي، أنزل الرعب في قلوبهم سبحانه وتعالى، فتوقَّعنا أنَّه يوم 30 رمضان أن يكون قصفًا انتقاميًّا شديدًا على المنطقة بشدَّة وحصل الذي تُوقِّع، يوم 30 رمضان حصل قصف شديد جدًّا بالطائرات على منطقة المجاهدين وخاصَّةً على المعسكر الذي فيه الإخوة العرب، في معسكر ذهبوا إخوة نفروا لله ولرسوله استجابوا لله وللرسول، علمهم قليل إنَّما في قلوبهم إيمان، علموا أنَّ من حقوق المسلم –الحقوق البديهية التي لا تحتاج إلى كثير علم– نصرته {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}، علموا أنَّ المسلم أخو المسلم وأنَّه لا يخذله مهما كان خصمه وعدوه، فذهبوا جزاهم الله خيرًا، وكانوا في مقدمة معسكر المجاهدين، معسكر المجاهدين –تشبيهًا– على شكل هلال ما بين طرفي الهلال تقريبًا خمسة كيلومتر، معسكر الإخوة العرب كان في مقدمة الهلال الأيسر، كانوا حول سبعين أخ، القوة منذ فترة وهي تمشي منذ ثلاثة أيام من كابل حتى وصلت إلى هنا حصلت مقاومة على الطريق ولكن ما كانت

كافية لإيقافها، فالمهم وصلوا إلى المعسكر وكانوا حريصين عليه جدًّا؛ لأنَّه بأخذ المعسكر هذا يسهل أخذ ما وراءه إلى الحدود ثم يُقفَل الطريق، ثم حرصهم الشديد على مسح تواجد أي صفة تنقل الجهاد في أفغانستان من جهاد مجاهدين أفغان مسلمين إلى جهاد مسلمين بشكل عام، يخرج من منطقته الإقليمية التي حدَّدها لنا الاستعمار –أخزاه الله–، ولِمَا وجدوا له من أثر كبير جدًّا على رفع معنويات المجاهدين، وهذا مسنون في شرعنا من فضل الله سبحانه وتعالى.

فالمهم يوم 30 رمضان جاءت الطائرات تقصف قنابل، عندما كنَّا هنا نتصوَّر الجهاد عام 99 قبل دخول الروس إلى أفغانستان وبعد أن دخلوا ما كنَّا نتوقَّع.. ومن كُثر ما خُرِّبت عقولنا، رغم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد هدانا لهذا الدين، ولكنَّنا عشنا في جوٍّ مسيطر عليه أفكار استعمارية تسلَّلت إلينا بأنَّ الكفار هم أقوى الناس، وأنَّهم يستطيعون أن يفعلوا كل ما يريدون، فإذا ما ذكرت فلسطين أو المسجد الأقصى أول ما يهبُّ إليك الدعاء، والمسلمون الذين –هداهم الله– يقول لك: وهل تظن أنَّ اليهود لوحدهم؟ أليس معهم أمريكا؟ فهذا إن دلَّ يدل على أنَّ أفكارنا أصابها شوائب كثيرة، فينبغي أن نعيد تفكيرنا ونتَّبع فعل رسول الله ﷺ وفعل الصحابة عندما غزو الفرس والروم ولم يفكِّروا بعِظَم الفرس والروم، وإنَّما كان مسيطرًا عليهم عظمة الله سبحانه وتعالى.

فهجموا وضربوا القنابل وكان قصفًا شديدًا جدًّا –أخزاهم الله– ارتجَّ له المعسكر، في هذه الأثناء أحد إخواننا كان في الرصد من جهة اليمين أخبرنا أنَّ تقريبًا حول مائتي جندي كوماندوز روسي يتسلَّلون إلى المعسكر، وعندنا أخبار مسبَقة أنَّ العدو يريد أن يأسر كثيرًا من الإخوة العرب أحياءً، فكان الضرب هذا تمهيدًا حتى نكون ما بين قتلى وجرحى ننشغل بهم ويصعد هؤلاء بين الغابات حتى يستولوا على المعسكر ثم يكملون، وفعلًا هذا المعسكر كان معهم في العام الماضي، من فضل الله عندما دخلوا كنت –والفضل لله والمنَّة– مع تسعة من الإخوة، شباب ما بين التسعة عشر والواحد وعشرين سنة، علمت بالجهاز أنَّ الكوماندوز متسلِّل فقلت لإخواننا بسرعة أسلحتكم واخرجوا للقائهم، يشهد الله العظيم ما تلكَّأ واحد فيهم ولا تلعثم ولا تأخَّر وهو خارج لمقابلة الروس، كانت سكينة عجيبة تراها رأي العين، سكينة والله يا إخواننا تُذهَل من كثرتها التي نزلت على هؤلاء الشباب الصغار، تسعة أو عشرة يريدون أن يخرجوا لملاقاة أشرس وأقوى القوى الروسية، فخرجوا –جزاهم الله خيرًا– وتمَّ اللقاء بينهم يوم 30 رمضان.

أحدِّث هذه الحادثة حتى يزول من النفس الشوائب والغزو الاستعماري الذي ران على قلوبنا، فأصبحنا نتوهَّم أنَّ الكفر أقوى من كل شيء عمليًّا وإن كنَّا ننطق بأنَّ الله سبحانه وتعالى أكبر، فخرجوا للقائهم وقدَّر الله أن اشتبكوا فعلم العدو بوجودنا أنَّنا خرجنا من المعسكر للقائهم قَدَرًا –موضوع يطول–، فقاموا يصبُّون

على هذه النقطة التي نحن فيها وابلًا غزيرًا جدًّا من القنابل والصواريخ وقذائف الهاونات تساعدهم الطائرات، ونحن عشرة؛ ماذا سيفعل عشرة لهؤلاء الكفار؟! سيفلعون، {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} فصبروا جزاهم الله خيرًا.

بعد القصف الشديد هذا ما ظنَّ إخواننا الذين في المعسكر من جهة أخرى أن ينجو منَّا أحد، ولا ظنَّ إخواننا الذين في ميسرة معسكرنا أن ينجو منَّا أحد، بفضل الله سبحانه وتعالى تحرَّفنا لقتال بمقدار مائتي متر إلى الخلف، ثم حتى العدو أنفسهم من شدَّة هذا الضرب ما ظنُّوا أن يبقى أحد إلا قتيل أو جريح أو فارّ، فصعدوا على المكان الذي كنَّا فيه تركناه بطمأنينة عجيبة حيث يظنُّون أنَّنا هربنا، فما أن صعدوا حتى بدأ الإخوة الضرب عليهم وقُتل منهم واحد يقينًا وفرَّ الباقون من فضل الله سبحانه وتعالى، فلمَّا ضربنا عليهم بدأ القصف من جديد، تمهيد وتمشيط بالطائرات وبمدافع الهاون، كانوا مستميتين بشكل عجيب من أجل أن يأخذوا هذا المعسكر، مع كثرة القصف جاء بعض إخواننا، طلبنا مددًا من الشيخ سيَّاف والشيخ قلب الدين فأرسلوا لنا مددًا، يعني كان حجم القوات أكثر وأكبر من حجم الموجودين في المعسكر، فقدَّر الله قُتل منهم خمسة بالهاونات من إخواننا الأفغان، فشُغل المدد بالجرحى والقتلى، واستمرَّ هذا اليوم من السادسة والنصف صباحًا إلى السادسة والنصف مساءً، واستمر قصف متواصل بلا انقطاع، للتقريب إلى أذهانكم كان ما بين القذيفة والقذيفة بمقدار كلمتين، مثل قولك: "يا أبا عبد الله لازم نمشي"، ما يمكن يكون الجواب في ضمن قذيفتين إلا بعد قذيفة أخرى من كثرة القصف الشديد، فكلنا التجأنا إلى الله سبحانه وتعالى –وهو حال المسلم دائمًا– استمرت المعركة إلى الليل واستمر التمشيط في الليل.

وثاني يوم في الصباح كان يوم العيد وكان أجمل عيد على المسلمين في تلك المنطقة، يوم العيد استمرَّ القصف وتحت القصف تمشي قوات العدو الكوماندوز يتقدَّمون حتى وصلوا على بعد ثلاثين مترًا من حدود المعسكر، فكان في مواجهة هؤلاء المائتين خرج خمسة في مواجهتهم، وتسعة من الإخوة كان على رأسهم أخونا أبو عبيدة –جزاه الله خيرًا– نزلوا إلى وسط الغابة وتقابلوا مع الكفار بين المعسكرين، أولئك مائتين وهؤلاء نزلوا تسعة لملاقاتهم، وخمسة كنَّا على التبَّة خشية أن يتسلَّلوا إلينا –يشهد الله كما أقول لكم–، الميمنة كان شاب عمره تسعة عشر سنة عتيبي من المنطقة الشرقية، والميسرة أخ من جدة اسمه أسد الله، والظَّهر لنا كان أخ اسمه ياسين عراقي، وكنت أنا مع الأخ وائل الجليدان –أعوذ بالله من الشيطان الرجيم–، فعندما رأيناهم على بعد ثلاثين مترًا بدأ الاشتباك معهم فبدأ التمشيط ينهال علينا من جديد، استمر التمشيط حتى قُتل من الإخوة العرب تسعة نرجو الله أن يتقبَّلهم شهداء، ووالله ما تحرك منهم واحد ولا فكَّر بالرجوع، ونحن الآن بانتظار أخبار التسعة الذين خرجوا لملاقاة العدو الذين سبَّبوا رعبًا في المنطقة، لأنَّه فِرَق الكوماندوز –أخزاهم الله

وأجاركم الله- يختارونهم من أبناء اللقطاء بأجسام قوية حتى لا يكون عندهم أي وسيلة رحمة لا عنده لا أم ولا أب ولا رحمة ولا شفقة يكون متوحشًا، ولكن جنود الإسلام الذين دوَّخوا الدنيا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد الصحابة ما كان يفرق معهم روسي، بربري، سوداني، قبطي، تركي، كل بقاع الأرض عندما يحلُّ الإيمان في القلب فتحوا الأرض من مشرقها إلى مغربها، هل سمعتم أنَّهم انكسروا أمام الترك؟ أمام الفرس؟ أمام الروم؟ أمام البربر؟ الإيمان لا يُقهر إذا وقر في القلب.

فنزل هؤلاء التسعة لملاقاة مائتين من الكوماندوز الروس، ما هي إلا ساعة تقريبًا حتى اتَّصل أخونا أبو عبيدة ويبشِّرنا بالجهاز يقول: الله أكبر! قتلنا الكوماندوز الروس، وانتشر التكبير في كامل المعسكر من فضل الله سبحانه وتعالى وعمَّت البشرى والسرور.

شباب طلاَّب ثانويات، هل نحن نقاتل بالسلاح أم بالإيمان؟ نقاتلهم بالإيمان، لا تخرَّجوا من كليات عسكرية ولا من غيرها -وإن كان هذا مطلوبًا- ولكن استجابوا لله والرسول، هذه طاقتهم، الله سبحانه وتعالى يقول -أعوذ بالله من الشيطان الرجيم-: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} هذا الذي استطاعوه من قوة خرجوا يجاهدون به الكفار فأنزل الله نصره عليهم سبحانه وتعالى {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ}، معادلة بسيطة؛ قدرتك ايش؟ عندك إمكانيات تخرج لملاقاة الكفار والباقي الله سبحانه وتعالى يتكفَّله، أمَّا أن نجعل أنفسنا أوصياء على دين الله -معاذ الله-، فلذلك العقول ينبغي أن تنفِّذ ما أمر الله سبحانه وتعالى به لا أن تجتهد فتعطِّل النصوص، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه عندما تُوفِّي رسول الله ﷺ، وهو في سكرات الموت يقول: "أنفذوا بعث أسامة"، كلَّما استيقظ عليه الصلاة والسلام يقول: "أنفذوا بعث أسامة"، ماذا كان بعث أسامة إلا السيوف والرماح؟ لنشر هذا الدين وللدعوة لهذا الدين، هكذا كانت الدعوة، ثم إنَّ أبو بكر رضي الله عنه عندما أجمع عليه الصحابة أن يُوقف بعث أسامة، فقالوا من تترك في المدينة؟ ومن للدعوة في المدينة المنورة؟ ومن للنساء؟ قال كلمته المشهورة النابعة عن إيمانه واتباعه رضي الله عنه، قال: والله لو أخذت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما أوقفت بعث أسامة أو لأنفذت بعث أسامة. أمهات المؤمنين زوجاته ﷺ، ويريد الله سبحانه وتعالى أن تأتي المنيَّة لأبي بكر فيطلب عمر رضي الله عنه فيقول: اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إذا متُّ من يومي هذا فلا تمسينَّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، وإذا متُّ من ليلتي هذه فلا تمسينَّ حتى تندب الناس مع المثنَّى.

أمَّة جهاد وهم على فراش الموت خيار الأمَّة رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما على فراش الموت يطلبون أن تخرج الجيوش لرفع راية لا إله إلا الله، فرفع راية لا إله إلا الله تُرفع بالسيوف، وأمَّا ما انتشر من بعض الكُتَّاب المسلمين أنَّ هذا دين سلم وسلام فهو رد فعل لما اتُّهموا به من المستشرقين، فلا نترك ديننا من أجل إرضاء

الكفار، والأدلة على هذا كثيرة فعل الصحابة رضي الله عنهم، حتى أنَّ الطلقاء يوم مكة ما كان المسلمون بحاجة إليهم لكي يذهبوا إلى ثقيف وهوازن، الآن أسلموا يوم الفتح، بعد الفتح بعدة أيام نادى منادي رسول الله ﷺ: يا خيل الله اركبي، فخرجوا خفافًا وثقالًا، ما أحد قال هؤلاء حديثي عهد بالإسلام اتركوهم يتعلَّموا الدين ويتعلَّموا الدعوة ويتعلَّموا.. ويقعدون، ما أحد قال هذا، من أين لنا هذا العلم الجديد الذي انتشر بين بعض الناس بأن يُترك الجهاد من أجل الدعوة، وتُعطَّل نصوص القرآن من أجل مصلحة الدعوة التي يقرِّرها أفراد بشر، نستغفر الله من هذا، فلا أريد أن أطيل عليكم.

نزل نصر الله سبحانه وتعالى وقُتل هؤلاء الكوماندوز وارتفعت معنويات المجاهدين بشكل عجيب جدًّا وانخفضت معنويات الكفار، حتى يقول أخونا أبو زياد –بإمكانكم أن تسألوه أخ من جدة– كان في الرصد من جهة الميسرة من جهة جبل الرماة، يقسم بالله أنَّهم ما زالوا يفرُّون ويركضون هؤلاء الفرق الروسية، الجيش الأحمر الذين يهيِّبون به الناس، يقول: ما زالوا يركضون بين الأشجار كلَّما جاءت ساحة رآهم، وهم يظنُّون أنَّهم في كل خلف شجرة سيخرج لهم المجاهدون، حتى جاءت الطائرات –ورأيتها بعيني– تأخذهم وفرُّوا أخزاهم الله.

وكان مدة المعركة المقرَّر لها –فيما علمنا من الأسرى فيما بعد– أسبوعين، مضى أكثر من أحد عشر يومًا ولم يأخذوا شبرًا واحدًا من هذا المعسكر بحول الله سبحانه وتعالى ولا من معسكرات المجاهدين، نقول مختصر معركة واحد وعشرين يومًا بكلام بسيط لكن كان يصاحبها أهوال شديدة هي لتمحيص الإيمان، يقول سبحانه وتعالى –أعوذ بالله من الشيطان الرجيم–: {وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا} موجود إيمان؟ لا بدَّ من تمحيص، والتمحيص لا يكون إلا في الجهاد {وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ} فمُحِّصوا الإخوة ومن فضل الله ثبتوا أجمعين وذلك الفضل لله والمنَّة.

ثم حاولوا يوم خامس العيد أن يقتحموا علينا المعسكر مرة أخرى –أو سادس العيد–، خرج لهم اثنى عشر أخًا، أرسلوا ثمانين كوماندوز خرج اثنى عشر من الإخوة؛ خمسة كانوا لصدِّ الهجوم وسبعة ذهبوا التفاف وسط الغابات مرة أخرى، وتعود الكرة رغم التمشيط الشديد، والقتل تحرًّا في المجاهدين ولكنهم ثابتين {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ}، تقدَّم أحد الكفار وخلفه ثمانين كوماندوز روسي قتله شاب لم تنبت لحيته بعد من أهل اليمن اسمه أبو سالم وزنه لا يزيد عن خمسة وأربعين كيلو، من أين له هذا الثبات؟ من عند الله.

فارجعوا يا إخواننا إلى نصر الله، نصر الله أكبر من كل هؤلاء الطواغيت في مشارق الأرض ومغاربها.

تصوَّروا –يشهد الله– استمرَّ القصف ثلاث ساعات متواصلة، كان نتيجة المعركة أن من فضل الله سبحانه وتعالى –ونحن نرى– أسقط المجاهدون أربع طائرات، ووالله الذي لا إله إلا هو إن جُرِح أحدكم من الطائرات

فقد جُرِح أحدنا هناك، والطائرات تقصف، القنابل التي تأتي بيننا من فضل الله ما تنفجر والبعيدة تنفجر، يريد الله لكم أن تنهضوا وأن تنفروا، فانفروا وإلا فالحجة قائمة عليكم سلفًا، قبل أن نذكر ثبات الأفغان وما أنزل الله عليهم من كرامات، في هذه المعركة حصل مع كثير من إخواننا؛ كنت ممن حصل معهم وكان معي أخونا أبو الحسن وائل جليدان كنَّا في جبل الرماة وهم شغالين تمشيط بمدافع الهاون مدافع ضخمة جدًّا 122 مل ولكن نراها لا شيء بفضل الله، كنت في جبل لا أستطيع أن آخذ وضع يحمي من القنابل هذه، وإذا القنابل تأتي عليَّ والذي خطر في ذهني في الموقع هذاك ما أحد يستطيع أن يأخذ مكانًا لأنَّه ما كان فيه حفر ونحن ماشين، فخطر في ذهني يُجرَح بعضنا أو يُقتَل لأنَّ قذيفة الهاون لها صفير قبل أن تصل يمكِّنك من أن تأخذ موضع، فكنَّا في مكان ما استطعنا أن نأخذ موضع، فما بي إلا أسمع صفير الهاون فقلت: حسبي الله ونعم الوكيل، وخطر في ذهني أنا سنصاب وإذ بها —والله العظيم يا إخوة– على بعد خمسة أو سبعة أمتار تأتي ولا تنفجر، وما أكملنا قليلًا حتى تكرَّرت نفس الحادثة، الله سبحانه وتعالى يريد لهذه الأمَّة الخير {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} كنتم ترفعون عَلَم الجهاد وتنصرون الدين كما فعل الصحابة رضي الله عنهم.

وهذه روسيا الضخمة التي يُذكر عنها والله يا إخواننا كان يتبعون أفراد الجيش هذا الأحمر والقوى الخاصة في الكوماندوز والله طلاب يركضون خلفهم بالقنابل اليدوية وبالكلاشن يوم خامس العيد هذا يركضون خلفهم، ثم من الأسرى حكى بعض الأسرى يقولون: معلومٌ عندنا أنَّ هذا المكان الذي فيه الإخوة العرب خطير جدًّا إذا أُرسل إليه الإنسان غالبًا يُقتل، من أين له الخطورة؟! طلاب مدارس إذا راحوا من المدرسة يسبِّبون خطورة؟! ما يسببون خطورة إلا أنَّ في قلوبهم إيمان وقر في القلب فصدَّقه العمل.

ومن فضل الله في عموم أفغانستان الوضع يبشِّر بخير وهزائم متلاحقة على الكفار كما ذكر الشيخ، بل أحيانًا يهدِّدون تهديدات مباشرة لبعض القادة، أحد القادة أسر خمسة من الروس فأرسلوا له تهديدًا بالدم؛ كتبوه ووقعوا عليه بالدم إن قتلتهم فسنفعل وسنفعل وسنفعل، وهو معه الله سبحانه وتعالى ردَّ عليهم كتب: افعلوا ما شئتم، وقَتَل الخمسة هؤلاء الروس الذين يتبخترون ويتكبَّرون على عباد الله.

فيا إخواني قد تأخرنا كثيرًا كثيرًا جدًّا، والأمر سهل على من سهَّله الله عليه، وأذكِّركم بإخوانكم في فلسطين كان الشيخ عزُّ الدين القسام يذكِّر الناس يقول لهم: أعطونا فقط زكاة مزرعة زكاة البرتقال هذا، فيصدُّون الناس ويُعرِضون فما زالوا يصدُّون ويُعرِضون حتى أُخِذ المال والأرض والأعراض تصديقًا لقوله سبحانه وتعالى: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

وكذلك في جنوب الجزيرة جاءت الشيوعية التي تريد أن ترفع راية "لا إله" على حساب الراية التي رفعت في هذا البلد الطاهر مهبط الوحي "لا إله إلا الله" يريدون أن يوسِّعوا "لا إله" على حسابها، فكان الشيخ سالم...

–عليه رحمة الله– يذكِّر الناس: أعطونا من الأربعة أبناء؛ ولد، ومن المال الزكاة، فأعرض الناس وقصَّروا وتكاسلوا فكان يُؤتَى بالعالِم يُضرَب بالفأس أمام أعين الناس، فالله سبحانه وتعالى لا يحابي أحدًا.

فانفروا يغفر الله لنا ولكم، وأستغفر الله العليَّ العظيم.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.